أرض المعاني

أم جليل مهني

جيل الخلافة
مكتبة جيل الخلافة للأطفال
kelafah.com

جَاءَتْ فَاطِمَةُ إِلَى صَدِيقَتِهَا عَائِشَة كَعَادَتِهَا لِتُحَدِّثَهَا مِثْلَمَا تَفْعَلُ كُلَّ مَرَّةٍ عَنْ رِحْلَةٍ جَدِيدَةٍ قَامَتْ بِهَا نَحْوَ أَرْضِ الْمَعَانِي.

فَهِيَ الَّتِي تَمْلِكُ قَلَمًا عَجِيبًا يَتَحَوَّلُ إِلَى مَرْكَبَةٍ كُلَّمَا أَرَادَتْ أَنْ تُسَافِرَ إِلَى تِلْكَ الْبِلَاد.

كَانَتْ عَائِشَةُ فَتَاةً شَغُوفَةً بِكُلِّ مَا يُثِيرُ فِيهَا رُوحَ الْمُغَامَرَةِ وَحُبَّ الِاسْتِطْلَاعِ، أَمَّا أَحَادِيثُ فَاطِمَةَ عَنْ تِلْكَ الرِّحْلَاتِ الْعَجِيبَةِ فَلَمْ تَكُنْ تَمُرُّ عَلَيْهَا مُرُورًا عَابِرًا، بَلْ أَثَارَت فُضُولَهَا وَرَغْبَتَهَا فِي شَقِّ طَرِيقِهَا نَحْوَ أَرْضِ الْمَعَانِي رُفْقَةَ صَدِيقَتِهَا، لِتَتَلَمَّسَ عَجَائِبَ تِلْكَ الْبِلَادِ عَنْ قُرْبٍ.

وَافَقَتْ فَاطِمَةُ عَلَى اصْطِحَابِ عَائِشَة فِي رِحْلَتِهَا الْقَادِمَةِ، وَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ، أَمْسَكَتِ الْفَتَاةُ قَلَمَهَا الْعَجِيبَ بِقُوَّةٍ؛ فَإِذَا هُوَ قَدِ ازْدَادَ حَجْمُهُ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَتَحَوَّلَ إِلَى مَرْكَبَةٍ عَظِيمَةٍ مُهَيَّأَةٍ لِلرِّحْلَةِ.

تَعَجَّبَتْ عَائِشَةُ مِنْ هَذَا الْحَالِ، وَامْتَطَتِ الْقَلَمَ مَعَ صَدِيقَتِهَا فَطَارَ بِهِمَا بَعِيدًا حَتَّى تَوَارَى عَنِ الْأَنْظَارِ.

وَمَا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ حَتَّى حَطَّ فِي أَرْضِ الْمَعَانِي، وَيَالَهَا مِنْ أَرْضٍ!!!

خَرَجَتْ عَائِشَةُ مِنْ الْمَرْكَبَةِ سَرِيعًا وَالدَّهْشَةُ تَعْتَرِيهَا وَقَدْ مَدَّتْ بَصَرَهَا فِي الْأُفُقِ، فَإِذَا بِعَالَمٍ مُخْتَلِفٍ قَدْ امْتَزَجَ فِيهِ الْخَيَالُ بِوَاقِعِ الْحَالِ، ثُمَّ مَدَّتْ بَصَرَهَا مَرَّةً أُخْرَى فَإِذَا بِشَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ جِدًّا لَمْ تَرَ مِثْلَهَا مِنْ قَبْلُ، وَقَدْ امْتَدَّتْ فِي السَّمَاءِ عُلُوًّا حَتَّى لَا يُرَى آخِرُهَا!!!!

أَمَّا جِذْعُهَا فَلِضَخَامَتِهِ وَقُوَّتِهِ قَدْ بَثَّ فِي الرُّوحِ هَيْبَةً وَجَلَالًا، إِذْ تَفَرَّعَتْ مِنْهُ تِلْكَ الْأَغْصَانُ الْعِمْلَاقَةُ، وَامْتَدَّتْ فِي الْأُفُقِ، وَتَدَلَّتْ مِنْهَا أَوْرَاقٌ وَارِفَةٌ كَبِيرَةٌ تُلْقِي بِظِلَالِهَا عَلَى الْمَكَانِ الْفَسِيحِ، وَتَنْسَابُ بَيْنَهَا نَسَمَاتُ الْهَوَاءِ الْعَلِيلِ، فَتَتَرَاقَصُ مَعَهَا فِي تَنَاغُمٍ عَجِيبٍ، يُنْعِشُ الْقُلُوبَ الْمُتْعَبَةَ؛ فَتُزْهِرُ حُبًّا وَحَيَاةً وَنَعِيمًا.

وَلَمْ تَكَدْ عَائِشَةُ تَمْلَأُ رُوحَهَا مِنْ جَلَالِ الْمَشْهَدِ حَتَّى قَطَعَتْ تِلْكَ الدَّهْشَةَ دَهْشَةٌ أُخْرَى.

إِذْ رَأَتْ فِي مُحِيطِ الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ أَشْجَارًا صَغِيرَةً قَدْ دَبَّ فِيهَا الْمَوْتُ، وَتَنَاثَرَتْ أَوْرَاقُهَا، وَتَسَاقَطَتْ أَغْصَانُهَا، وَكَأَنَّهَا أَشْبَاحٌ هَزِيلَةٌ لَا حَيَاةَ فِيهَا.

وَبَيْنَمَا هِيَ مُطْرِقَةٌ غَارِقَةٌ فِي أَفْكَارِهَا إِذْ هَبَّتْ رِيَاحٌ عَاصِفَةٌ عَلَى حِينِ غِرَّةٍ، كَادَتْ تَقْتَلِعُ مِنْ قُوَّتِهَا كُلَّ شَيْءٍ!!!

أَسْرَعَتِ اَلْفَتَاتَانِ إِلَى اَلْمَرْكَبَةِ لِلِاحْتِمَاءِ بها مِنْ هَوْلِ هَذِهِ اَلْعَاصِفَةِ، وَلَمْ يَغِبْ عَنْهُمَا مَشْهَدُ اَلْأَشْجَارِ اَلْعَجِيبُ وَهِيَ تُجْتَثُّ مِنْ جُذُورِهَا، وَتَتَطَايَرُ فِي اَلْفَضَاءِ كَقِطَعٍ مِنْ اَلْقَشِّ لَا وَزْنَ لَهَا وَلَا قِيمَةَ.

وَمَا هِيَ إِلَّا لَحظَاتٌ حَتَّى خَلَتِ الْأَرْضُ مِنْهَا وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا الشَّجَرَةُ الضَّخْمَةُ شَامِخَةً شَاهِدَةً عَلَى قُوَّتِهَا وَثَبَاتِهَا.

زَادَ إِعْجَابُ عَائِشَة بِالشَّجَرَةِ وَتَسَاءَلَتْ مَا سِرُّ هَذَا الثَّبَاتِ وَالْعَظَمَةِ؟

وَمِنْ أَيِّ بَذْرَةٍ نَبَتَتْ؟

فَرَدَتْ فَاطِمَةُ : يَا عَائِشَة إِنَّكِ فِي بِلَادِ الْمَعَانِي، وَالْبَذْرَةُ كَلِمَةٌ طَيِّبَة.

فرَدَتْ عَائِشَةُ مُنْدَهِشَةً: أَوَتُزْرَعُ الْكَلِمَاتِ يا فَاطِمَة؟!!

وَهُنَا تَقَدَّمَتْ فَاطِمَةُ نَحْوَ صَدِيقَتِهَا بِابْتِسَامَةِ مُعَلِّمٍ نَبِيهٍ وَقَالَتْ: أَلَمْ تَسْمَعِي قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى

أَلَـمْ تَرَ كَيْـفَ ضَـرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَـةً طَيِّبَـةً كَشَجَـرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَـا ثَـابِتٌ وَفَرْعُهَـا فِي السَّمَـاءِ، تُؤْتِي أُكُلَهَـا كُـلَّ حِيـنٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، وَمَثَلُ كَلِمَـةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَـرَةٍ خَبِيثَـةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ

وَإِنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةَ الْعَظِيمَةَ هِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ عِنْدَمَا تَنْمُو وَتَتَرَعْرَعُ فِي قَلْبِكَ يا عائشة، فَلَا تُحَدِّثِينِي بَعْدَهَا عَنْ ثَبَاتِكِ وَسَطَ الْأَهْـوَالِ وَالْمِحَـنِ، فَأَنْتِ الشَّجَـرَةُ الشَّامِخَـةُ وَالْقَامَةُ السَّامِقَةُ، أَصْلُكِ ثَابِتٌ وَفَرْعُكِ فِي السَّمَاءِ.

وَإِنَّ تِلْكَ الشُّجَيْرَاتُ الْهَزِيلَةُ الْمُتَنَاثِرَةُ فَهِيَ كُلُّ كَلَامٍ خَبِيثٍ يُنَاقِضُ التَّوْحِيدَ، إِذَا فَتَحْتِ لَهُ قَلْبَكَ وَبَيْتَ أَفْكَارِك فَلَا تُحَدِّثِينِي بَعْدَهَا عَنْ اضْطِرَابِكِ وَهَوَانِكِ.

كَانَ وَقْعُ الْكَلِمَاتِ عَلَى قَلْبِ عَائِشَةَ شَدِيدًا، فَامْتَطَتْ الْمَرْكَبَةَ مَعَ رَفِيقَتِهَا وَعَادَتْ إِلَى عَالَمِهَا وَلِسَانُ حَالِهَا وَمَقَالِهَا:

لَا إِلَـــهَ إِلَّا اللـــه

عَلَيْهَـــا أَحْيَـــى

وَعَلَيْهَا أَمُـــوتُ

وَبِهَا أَلْقَى الله

جيل الخلافة

مكتبة جيل الخلافة للأطفال

ketabeh.com